مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، ص29– ص66 يونيو 2013
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

تفسير القرآن الحكيم
لمحمد عبد المنعم خفاجي
(1334هـ=1915م – 1427هـ=2006م) ما له وما عليه

د. إبراهيم عيسى إبراهيم صيدم
كلية أصول الدين- قسم التفسير وعلوم القرآن
الجامعة الإسلامية-غزة

ملخص: يعد تفسير خفاجي من التفاسير المهمة التي تعالج قضايا مختلفة في مجالات الاجتماع والفكر والثقافة والحضارة وغيرها من المجالات .

لذا فهو من التفاسير الهامة للمسلمين عامة ولطلبة العلم خاصة فأردت في هذا البحث أن أعرِّف بمؤلف هذا التفسير وأعطي تصوراً عاماً عن تفسيره ثم أكشف اللثام عن سمات هذا التفسير ومميزاته وكذلك سلبياته والمآخذ عليه ليتسنى للقارئ الكريم الإقبال على هذا التفسير على بصيرة من أمره .

Abstract: The exegesis of Khafaji is a significant work and it is much relevant to different domains including sociology and culture and other areas.

This exegesis is important for Muslims in general and scholars of the discipline in particular. The primary aim of this research is to introduce this Exegete and give a comprehensive view of his work. In the process, the pros and cons of this exegesis were elaborated to enlighten the reader on Khafji's exegesis and thus approach it with a sufficient background.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد r وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد وقفت على أحد التفاسير الجديدة لمؤلِّف من المعاصرين، وهو « تفسير القرآن الحكيم – للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي »، يقع في ثلاثين جزءاً، وهو تفسير لا زال أكثره مخطوطاً، فقد طُبِع منه ثلاثة عشر جزءاً، وبقي مخطوطاً منه سبعة عشر جزءاً، يفسر فيه مؤلفه كل جزء من القرآن في جزء من التفسير، ويجعل لكل جزء فاتحة وخاتمة.

وقد وقفت على القسم المطبوع من تفسيره، وسوف أبرز في هذا البحث القيمة العلمية لهذا التفسير، وما فيه من ميِّزات، وما عليه من مآخذ، من خلال القسم المطبوع، والله المستعان.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع من خلال الأمور الآتية:

1. هذا التفسير من التفاسير الجديدة، ربما لم يسمع به أكثر المتخصصين من أهل العلم فضلاً عن غير المتخصصين، وظهوره يخدم العلم وطلبته، ويزيد موروث هذه الأمة الثقافي والديني، بدلاً من أن يبقى مطموراً لا يعرفه أحد، ولا تعمُّ به الفائدة.
2. هذا التفسير من التفاسير التي تمتاز بسهولة العبارة، وبساطة الأسلوب، لا يستعصي على قارئه، بعيد عن التعقيدات اللغوية، والاصطلاحات الفلسفية، والغموض والإبهام، ومن كل ما يعوق دون الفهم والإفهام، مما يجعل القارئ وكأنه يعيش روح التفسير، ويسير مع موضوعاته وأحداثه التي يطرحها لا يفوته منها شيء.
3. بالإضافة إلى أنه طرح في جنباته قضايا مختلفة؛ لغوية وبيانية واجتماعية وعلمية وتاريخية وغيرها من القضايا المتوعة، التي كان لها دور واضح في تفسير القرآن الكريم، الأمر الذي يكسب هذا التفسير قدرة على مواكبة عصره وتطوراته، ويجعله موسوعة تفسيرية يُرجع إليها، ويُستفاد منها.

ولهذا كان هذا التفسير من الأهمية بمكان، وجديراً بالدراسة والبحث.

سبب اختيار الموضوع:

الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب:

أولها: نظراً لأهمية هذا الموضوع - على النحو الذي أسلفنا -، ولحداثة هذا التفسير الذي لا زال الجزء الأكبر منه مخطوطاً حتى الآن، فأردت أن أبين القيمة العلمية له، وما له وما عليه، ليظهر للقارئين عامة، وللمتخصص على وجه الخصوص درجة هذا التفسير ومكانته بين التفاسير، وحثّ طلبة العلم إلى تحقيقه وإخراجه إلى النور.

ثانيها: فتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم، وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي يخرج بها الباحث - إن شاء الله -.

ثالثها: لفت الأنظار إلى هذا التفسير القيم، حيث لا يعلم بوجوده أغلب أهل العلم من المتخصصين، فضلاً عن غيرهم.

الجهود السابقة :

نظراً لجدَّة هذا التفسير وعدم اشتهاره في أوساط أهل العلم، فإن إفراد الدراسة في بحث مستقل حول تقييمه بيان ما له وما عليه تعتبر جديدة وغير مسبوقة فيما أعلم، والله أعلم.

خطة البحث:

يتألف البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف عام بالمؤلِّف وطريقته في تفسيره. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نبذة عن حياة المؤلِّف.

المطلب الثاني: طريقة خفاجي في تفسيره.

المبحث الثاني: القيمة العلمية لتفسير خفاجي.

المبحث الثالث: تفسير خفاجي ما له وما عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سمات تفسير خفاجي.

المطلب الثاني: المآخذ على تفسير خفاجي.

ثم ختمت البحث بخاتمة ضمّنتها أهم النتائج والتوصيات، والله المستعان.

المبحث الأول: تعريف عام بالمؤلِّف وطريقته في تفسيره

يحسُن بهذا البحث قبل البدء في بيان ما لخفاجي في تفسيره وما عليه أن نقف وقفة موجزة حول المفسِّر وتفسيره، نتعرف على كل منهما، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: نبذة عن حياة المؤلف:

هو الشاعر الأديب الناقد الموسوعي الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي أبو ماجد، ينتهي نسبه إلى « خفاجة » إحدى القبائل العربية العريقة التي امتدت جذورها إلى العصر الجاهلي، ولها امتدادات في العالم العربي والإسلامي، فيوجد بعضهم في العراق، وفي إيران، وفي فلسطين والشام، وفي بلدان أخرى.

ويلقب بـ « جاحظ القرن العشرين » و « سيوطي القرن العشرن »؛ وذلك لكثرة علمه ومؤلفاته التي بلغت نحواً من خمسمائة مؤلَّف، ما بين تأليف وتحقيق، وهو أديب معروف بين الأدباء، زخرت المكتبة بتراثه الأدبي، وله دواوين في الشعر.

مولده في قرية « تلبانة » من مركز المنصورة بمحافظة الدقهلية في 1915/7/22م، وهو من علماء اللغة العربية بجامعة الأزهر في جمهورية مصر العربية، تخرّج منه، وربَّى فيه أجيالاً، حتى وفاته – رحمه الله -.

وهو من أقران الشيخ الشعراوي – رحمه الله – وبينهما صداقة شخصية وزمالة دراسية؛ حيث درسوا سوياً في معاهد الأزهر منذ نعومة أظفارهم.

من شيوخه الشيخ عبد السميع شبانة الذي توفي في 1965/5/21م، والأديب الشاعر الشيخ عبد الجواد رمضان الذي توفي في رمضان 1959م، والشيخ حامد مصطفى الأشقر المتوفى في 1979/5/1م، والشيخ عبد السلام يوسف، وقد توفي في 1979/6/22م.

ومن تلاميذه الدكتور علي صبح، الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة، ومنهم الدكتور محمود علي السمان، عميد كلية اللغة العربية بالبحيرة، والشاعر فوزي العنتيل، والدكتور محمود الربيعي، الأستاذ بكلية دار العلوم، والشاعر كيلاني حسن سند.

كان محباً للعلم، متواضعاً حريصاً على العمل والجدّ، متعاوناً مع زملائه، صادق الانتماء، صاحب موهبة نادرة، يستشرف المستقبل، ويتطلع إلى آمال الأمة، ويشعر بآلامها.

شارك في أنشطة متنوعة؛ مؤتمرات وندوات ومحاضرات ومهرجانات وملتقيات علمية وثقافية، ومجلات وصحف وغيرها من وجوه النشاط المتعددة، وقد زار بلدان مختلفة في زيارات علمية وغيرها؛ كالسعودية والسودان والجزائر وتونس وليبيا والعراق والهند، وغيرها من البلاد، وكان أغلب هذه الزيارات لأهداف علمية.

أثنى عليه العلماء خيراً، وذكروا محاسنه وفضله.

توفي - رحمه الله - بالقاهرة يوم الأربعاء الثامن من صفر لعام 1427هـ، الموافق الثامن من مارس لعام 2006م، وترك ثروة علمية هائلة، حيث بلغت مؤلفاته أكثر من خمسمائة مؤلف – كما أسلفنا -؛ أكثرها في الأدب والنقد، وبعضها في التاريخ والعلوم الإسلامية،
ومنها تفسيره المسمى « تفسير القرآن الحكيم »، رحمه الله رحمة واسعة [1].

المطلب الثاني: طريقة خفاجي في تفسيره:

تفسير خفاجي – رحمه الله – من التفاسير المهمة، التي تمتاز بسهولة العبارة، وبساطة الأسلوب، وقد جمع فيه المفسر بين المنقول والمعقول، وسلك طريقاً وسطاً بين الإيجاز والتطويل، وتناول فيه مختلف الموضوعات والقضايا التي توضح المعنى وتبينه، وهذه طريقته في تفسيره بإيجاز:

([1]) للاستزادة حول حياة خفاجي انظر: مواكب الحياة - للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، وصفحات من الفكر المعاصر - للدكتور زهران محمد جبر، ومجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة: العدد الرابع والعشرون، 1787/2_1855.

أولاً: موقفه من التفسير بالمأثور:

إذا نظرنا في تفسير خفاجي من حيث تناوله للمأثور من التفسير وعلوم القرآن في بيانه للمعنى فإننا سنجده مهتماً به، فيورد الآيات التي تفسير هذه الآية التي هي موضع التفسير، ويورد الأحاديث والأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين – رضوان الله عليهم -:

فمن تفسير القرآن للقرآن:

عند قوله تعالى: **{** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غير محلي الصيد...**}** [المائدة:1]، قال: " وقوله تعالى: **{** أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ **}** [المائدة:3] تفصيل للعقود؛ لأن العقود مجملة فهي شاملة لجميع العقود، لأن ذلك أمهات التكاليف " [1]، فالآية الثانية أوضح فيها المفسر الإجمال الوارد في الآية الأولى.

ومن تفسير القرآن بالقرآن ما ورد تفسيراً « للطيبات » من قوله تعالى: **{** فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ **}** [النساء:160] قال: " والطيبات التي حرمها الله عليهم مبينة بقوله **U** في سورة الأنعام **{** وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ **}** [الأنعام:146] الآية" [2].

ومن تفسير القرآن بالسنة:

تفسير قوله تعالى: **{** وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ **}** [النساء:3] حيث قال:" وما قضت به السنة من الاقتصار على أربع وما أجمع عليه أهلها من عدم جواز الزيادة عليهن هو عمدة الفقهاء في هذا الباب، لا لأن مثنى وثلاث ورباع يدل على جواز أكثر من أربع، بل لأن العدد عندهم لا مفهوم له، فذكر الأربع لا يقتضي تحريم الخمس فأكثر، فلما حتم النبي على من أسلم من المشركين وعنده أكثر من أربع أن لا يمسكوا أكثر من أربع [3]كان ذلك بياناً منه **r** لما في الآية من الإجمال " [4].

([1]) تفسير القرآن الحكيم 38/6، سأشير إليه فيما بعد بذكر رقم الجزء والصفحة نظراً لتكراره.

([2]) 22/6.

([3]) أخرج البخاري – واللفظ له – ومسلم في صحيحيهما عن عَائِشَةَ – رضي الله عنها - **{** وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى **}** قَالَتْ: الْيَتِيمَةُ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ وَهُوَ وَلِيُّهَا فَيَتَزَوَّجُهَا عَلَى مَالِهَا وَيُسِيءُ صُحْبَتَهَا وَلَا يَعْدِلُ فِي مَالِهَا فَلْيَتَزَوَّجْ مَا طَابَ لَهُ مِنْ النِّسَاءِ سِوَاهَا مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ [صحيح البخاري 933/2: 2496، صحيح مسلم 1055/2: 1433].

([4]) 176/4.

ومن تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

ما ورد عن تفسيره لقوله تعالى: **{** حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ **}** [هود:40]، حيث قال - رحمه الله -: " واختلف في التنور في قوله تعالى: **{** وفار التنور **}**: فقال عكرمة والزهري: هو وجه الأرض، وذلك أنه قيل لنوح **u** : إذا رأيت الماء فار على وجه الأرض فاركب السفينة، وعن علي **t** قال: فار التنور وقت طلوع الفجر ونور الصبح، وقال الحسن ومجاهد والشعبي: إنه التنور الذي يُخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين، فوجب حمل اللفظ عليه، ...." [1].

وتتفاوت نقولاته عنهم بين عقيدة وفقه وفضائل الأعمال وتفسير ألفاظ وغيرها من وجوه التفسير عندهم.

ثانياً: موقفه من علوم القرآن:

تناول خفاجي في تفسيره الحديث عن علوم القرآن في مواضعها حسب المقام، وسوف أذكر هنا بعض العلوم التي تعرض لها في تفسيره، والتي تدل على اهتمامه بهذا الجانب:

أسباب النزول:

وذلك كسبب نزول الآية الكريمة: **{** لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ **}** [آل عمران:113]، حيث قال: " وقوله تعالى: **{** من أهل الكتاب أمة قائمة**}** أي مستقيمة ثابتة على الحق، وهم الذين أسلموا كعبد الله بن سلام، قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد إلا شرارنا، ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله هذه الآية " [2].

المكي والمدني:

تحدث – رحمه الله – عن موضوع المكي والمدني خلال تقديمه للسورة، حيث يبين مكيتها ومدنيتها، ومثاله: عند ابتدائه لتفسير سورة الأعراف قال: " ... وهي مكية، وآياتها مائتان وخمس أو ست آيات، ويستثنى منها الآيات 163_170 فهي مدنية، وهو قوله تعالى: **{** وَاسْأَلْهُمْ عَنِ

([1]) 37/12، وكلام المفسر هنا مقتبس من تفسير البغوي، انظر تفسير البغوي « معالم التنزيل »: 130/3.

([2]) 41/4، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 87/2، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات 327/6.

الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ } [المائدة:163] حتى قوله تعالى: {وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ } [الأعراف:171] " [1].

الناسخ والمنسوخ:

تحدث خفاجي عن النسخ في القرآن الكريم، وأثبت وقوعه فيه، وعَرَض لآراء العلماء في النسخ الواقع في الآية أثناء تفسيره، ومن ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ } [البقرة:180] حيث تحدث عن النسخ في الآية الكريمة، ثم قال: " هذا، والنسخ في الشرائع جائز موافق للحكمة والواقع، فإن شرع موسى نسخ بعض الأحكام التي كان عليها إبراهيم، وشرع عيسى نسخ بعض أحكام التوراة، وشريعة الإسلام نسخت الشرائع السابقة؛ لأن الأحكام العملية التي تقبل النسخ إنما تشرع لمصلحة البشر، والمصلحة تختلف باختلاف الزمان، فالحكيم العليم يشرع لكل زمن ما يناسبه، وكما تنسخ شريعة بأخرى يجوز أن تنسخ بعض أحكام شريعة بأحكام أخرى في تلك الشريعة، فالمسلمون كانوا يتوجهون إلى بيت المقدس في صلاتهم، فنسخ ذلك بالتوجه إلى الكعبة، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين، ولكن هناك خلافاً في نسخ أحكام القرآن ولو بالقرآن ..." [2]، ثم ذكر آراء العلماء حول وقوع النسخ في القرآن، وبالتالي فهو يتكلم عن الآيات التي وقع فيها نسخ، والتي قيل بأنها منسوخة.

([1]) 75/8. ذكر ابن جرير أنها مكية وعدد آياتها ست ومائتان [تفسير الطبري 115/8]، وكذا الإمام الآلوسي، وأوضح سبب الاختلاف في عدد الآيات باختلاف المصاحف، فالبصري مائتان وخمس، والشامي وست. انظر روح المعاني 109/8/5.

هذا، وقد ذكر ابن حجر الآيات المدنية المستثناة من السور المكية، وبدأ بما استثني من سورة الأعراف، فقال: "وهذا بيان ما نزل بعد الهجرة من الآيات مما في المكي؛ فمن ذلك الأعراف، =

= نزل بالمدينة منها { واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر } إلى { وإذ أخذ ربك } ". [فتح الباري 41/9] فزاد على ما ذكر خفاجي آية. ونقل السيوطي ما أخرجه أبو الشيخ ابن حيان عن قتادة، قال: الأعراف مكية إلا آية { واسألهم عن القرية }. وقال غيره: من هنا إلى: { وإذ أخذ ربك من بني آدم .. } مدني، على نحو ما ذكر ابن حجر. انظر الإتقان 48/1.

([2]) 81_80/2.

القراءات القرآنية:

ومن الموضوعات التي عرض لها خفاجي في تفسيره القراءات القرآنية؛ حيث أصَّل لمنهجه فيها، فاقتصر على ما صح منها دون ما كان شاذاً أو آحاداً، حيث يقوله: " ولم أذكر في التفسير قراءة شاذة إلا هذه، لكونها في شرف الرسول r " [1].

وكان ساق هذا الكلام عندما ذكر قراءة شاذة عند تفسير قوله تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ...} [آل عمران:164]، فقال: " « من أَنفَسِهِم » بفتح الفاء أي من أشرفهم؛ لأنه r كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم " [2].

المحكم والمتشابه:

إذا نظرنا إلى تفسير خفاجي وجدنا أنه تكلم عن المحكم والمتشابه بمعناهما العام وبمعناهما الخاص، وقد وقف وقفة مطولة عند تفسيره للآية الكريمة: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ...{7}} [آل عمران:7]، وعرض لأقوال العلماء في المحكم والمتشابه الخاص، وذكر فوائد العلم به، وتكلم بكلام معتدل في هذا الباب، فكان مما قال حول معنى { هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ }: " ومعنى ذلك أنها هي الأصل الذي دعي الناس إليه، ويمكنهم أن يفهموها ويهتدوا بها، وعنها يتفرع غيرها وإليها يرجع، فإن اشتبه علينا شئ نرده إليها وليس المراد بالرد أن نؤوله بل أن نؤمن بأنه من عند الله وأنه لا ينافي الأصل المحكم الذي هو أم الكتاب وأساس الدين، الذي أمرنا أن نأخذ به على ظاهره الذي لا يحتمل غيره إلا احتمالاً مرجوحاً. ومثال هذه المتشابهات قوله تعالى: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه:5] وقوله: { يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } [الفتح:10] وقوله { وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ } [النساء:171] " [3].

فمن خلال هذه المباحث يتبين لنا طريقة خفاجي في تفسيره لعلوم القرآن.

---

(1) 88/4.

(2) 88/4، قال أبو حيان:" وقرأ الجمهور: { من أنفُسهم } بضم الفاء، جمع نفس. وقرأت فاطمة وعائشة والضحاك وأبو الجوزاء: « من أنفَسهم » بفتح الفاء من النفاسة، والشيء النفيس .. ".
البحر المحيط 109/3-110.

(3) 146/3.

ثالثاً: موقفه من الدخيل في التفسير:

معنى الدخيل: هو ما نقل من التفسير ولم يثبت نقله، أو ثبت نقله ولكن على خلاف شرط القبول أو ما كان من قبيل الرأي الفاسد. و « أو » في التعريف ليست للتخيير، وإنما هي للتنويع [1].

فالدخيل ما نُسب كذباً إلى الرسول r، أو إلى صحابي، أو تابعي، أو ما ثبتت روايته إلى صحابي أو تابعي، ولكن هذه الرواية فقدت شروط القبول. ويطلق أيضاً على ما صدر عن رأي فاسد، لم تتوافر فيه تلك الشروط [2]، فهو يشتمل الجانبين النقلي والعقلي.

فمن الدخيل في الأحاديث النبوية:

ما ورد عند تفسير قوله تعالى: { الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [آل عمران:134] حيث ذكر حديثاً عن النبي r فقال: " ثم وصف الله تعالى المتقين بصفات، فقال: { الذين ينفقون } أي في طاعة الله {في السراء والضراء} أي في العسر واليسر والأحوال كلها، لأن الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة، فأول ما ذكر من أوصافهم الموجبة للجنة: السخاء والجود - ولو بالقليل. وقد روي عنه r أنه قال: « السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله من العالم البخيل » " [3].

فهذه الرواية ضعيفة؛ لأن في إسنادها سعيد بن محمد الوراق، وهو ضعيف – كما قاله الهيثمي[4].

ومن الدخيل في السيرة:

ما ورد عند تفسير قوله تعالى: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ } [الأنفال:9]. ومعروف أن هذه الآية كانت في شأن غزوة بدر الكبرى.

ذكر - رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية أثراً قال فيه: " وقيل: نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر t، وميكائيل u على المسيرة، وفيها علي t في صور الرجال عليهم عمائم بيض ... " [5].

([1]) الدخيل في التفسير – للدكتور إبراهيم خليفة 21_22.

([2]) انظر أصول الدخيل في تفسير آي التنزيل – للدكتور جمال مصطفى النجار 26.

([3]) 57/4، والحديث أخرجه الترمذي في سننه 342/4: 1961، والطبراني في الأوسط 27/3: 2363.

([4]) مجمع الزوائد 128/3.

([5]) 37/10.

وقد ذكر هذه الرواية في تفسيره ابن كثير والسيوطي والإمام الشوكاني والآلوسي، جميعهم عن ابن جرير الطبري.

أخرج ابن جرير الطبري - رحمه الله – عن علي بن أبي طالب t قال: نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي r وفيها أبو بكر t ونزل ميكائيل u في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي r وأنا فيها [1].

هذا ما ورد في شأن نزول الملائكة من هذه الحيثية، ويؤخذ على الرواية التي ذكرها خفاجي أمران:

أولهما: أن عدد الملائكة الذين نزلوا خمسمائة على ميمنة النبي r، ومثلهم على ميسرته. وهذا العدد لا يتفق مع العدد الذي تذكره رواية الطبري !!.

ثانيهما: أن الرواية التي ذكرها خفاجي ليس لها سند، ولا يُعرف لها راوٍ، ولم أقف عليها في كتب المتون.

أما رواية الطبري - رحمه الله -، فهي ضعيفة كما قرر ذلك أهل العلم؛ لأن إسنادها فيه يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري، وقد تكلم فيه العلماء [2]، قال ابن حجر في التقريب: " نزيل بغداد صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء " [3].

وفي سند الحديث أيضاً عبد العزيز بن عمران بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، المعروف بابن أبي ثابت، وقد ضعفه عامة المحدثين [4].

وقال ابن كثير بعد أن ذكر رواية الطبري - رحمه الله –: " وهذا يقتضي إن صح إسناده " [5] هكذا بصيغة تفيد التشكيك في الرواية، فالحديث إذن ضعيف.

ومن الدخيل في الإسرائيليات:

ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى: { وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ..... } [الأعراف:143] كان مما ذكر من روايات: " وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يوقظونه ويقولون له: طمعت في رؤية رب العزة؟ " [6].

([1]) تفسير الطبري 192/9.

([2]) انظر تهذيب التهذيب 347/11-348.

([3]) تقريب التهذيب 608.

([4]) انظر تهذيب التهذيب 312/6، والكاشف للإمام الذهبي 657/1.

([5]) تفسير ابن كثير 278/2.

([6]) 73/9.

ولا شك أن هذه الرواية من الإسرائيليات المكذوبة التي لا سند لهـا ولا أصـل، قـال الإمـام الآلوسي تعقيباً على هذه الرواية: " وهو كلام ساقط لا يعول عليه بوجه فإن الملائكة عليهم السلام مما يجب تبرئتهم من إهانة الكليم بالوكز بالرجل والغض في الخطاب " [1].

فهذه نماذج تدل على أن خفاجي كان يذكر الدخيل في تفسيره.

رابعاً: موقفه من التفسير بالرأي:

خفاجي – رحمه الله – أحد علماء الأزهر الشريف بمصر، وهو من علماء اللغة العربية، وهـو أديب عربي معروف بين الأدباء، وقد انعكس علمه باللغة والأدب على تفسيره، فكان له اهتمـام ببيان المعاني، والكشف عن الإعجاز القرآني، واستنباط الدلالات والفوائد من النصوص.

فمما جاء في الإعجاز البياني:

ما ورد عند تفسير قوله تعالى: **{** إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّـلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ **}** [المائدة:55] حيث قال مبيناً وجه البلاغة في اسـتعمال كلمـة « وليكم » مفردة: " وإنما قال: **{** وليكم **}** ولم يقل « أولياؤكم » للتنبيه على أن الولايـة لله علـى الأصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع، إذ التقدير: إنما وليكم الله وكذلك رسوله والمؤمنون، ولو قيل: إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا - لم يكن في الكلام أصل وتبع" [2].

ومما جاء في جانب بيان المفردات:

تفسيره لكلمة « شعائر » في قوله تعـالى: **{** إِنَّ الصَّـفَا وَالْمَـرْوَةَ مِـن شَـعَآئِرِ اللّـهِ ...**}** [البقرة:158] حيث قال في بيان معناها: " والشعيرة والشعار والشعارة تطلق على المكان أو الشئ الذي يشعر بأمر له شأن. وأطلق على معالم الحج ومواضع النسك وتسمى مشاعر «جمع مشعر» وعلى العمل الاجتماعي المخصوص الذي هو عبادة ونسك، ومن شواهده في اللغة شعار الحرب، وهو ما يتعارف به الجيش، وكون المواضع كالصفا والمروة من علامات دين الله أو أعلام دينـه فظاهر، وأما كون المناسك والأعمال شعائر وعلامات، فوجهه أن القيام بها علامة على الخضوع لله تعالى وعبادته إيماناً وتسليماً. فالشعائر إذن لا تطلق إلا على الأعمال المشروعة التي فيها تعبد لله تعالى، ولذلك غلب استعمال الشعائر في أعمال الحج لأنها تعبدية، وفي الصحاح [3]: الشـعائر أعمال الحج، وكل ما جعل علماً لطاعة الله **U** ... " [4].

([1]) تفسير الآلوسي 69/9/6.

([2]) 161/6_162.

([3]) مختار الصحاح 354.

([4]) 37/2.

وفي علم المناسبات:

وهو علم عظيم يكشف عن دقيق ترتيب القرآن ونظامه المحكم، وبنائه المتقن، ويكون بين السور وبين الآيات في السورة الواحدة:

ومثال ما جاء بين سورتين ما ورد عند تفسيره - رحمه الله - لسورة آل عمران، حيث ذكر وجه الربط والمناسبة بين فاتحتها وخاتمة البقرة فقال: " ومطلع هذه السورة مناسب تمام المناسبة لختام سورة البقرة، هذا الختام الذي بين الله **U** فيه أن المؤمنين يجمعون إلى توحيد الله والإيمان برسالة محمد صلوات الله عليه، الإيمان بجميع الأنبياء والرسالات، وهنا يؤكد الله **U** هذا المعنى، فيذكر **I** في مطلع هذه السورة أن القرآن الكريم نزل من السماء على محمد عليه الصلاة والسلام مصدقاً لما سبقه من رسالات وكتب سماوية "[1].

ومثال ما جاء بين الآيات وجه التناسب بين قوله تعالى: **{** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم ..**}** [البقرة:254] والآية قبلها **{** تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... **}** [البقرة:253]؛ حيث قال: " ووجه الصلة بين هذه الآية وما قبلها أن هذه الآية تتحدث عن إنفاق المال وبذله في سبيل الله، والآية السابقة تتحدث عن الرسالة والرسل ووحدة الدين، فكأن الله **U** يشير على الناس أن الرسالات أهم شرائعها البذل والإنفاق في سبيل الله " [2].

وفي جانب النحو:

المفسر مُقِلّ جداً في هذا الباب، ولم يعرض له في تفسيره إلا في مواضع قليلة باقتضاب:

منها: إعراب « مغفرة ورحمة » من قوله تعالى: **{** دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً **}** [النساء:96] حيث قال: " وقوله تعالى: **{** ومغفرة ورحمة **}** منصوبان بفعل مقدر تقديره: وأعد لهم "[3].

ومنها: إعراب « طوعاً أو كرهاً » من قوله تعالى: **{** أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ{83}**}** (آل عمران) قال: " وانتصب **{** طوعاً **}** و**{** كرهاً **}** على الحال بمعنى طائعين ومكرهين "[4].

---

(1) 131/3.

(2) 17/3.

(3) 128/5.

(4) 251/3.

خامساً: موقفه من تفسير آيات العقيدة:

وقف خفاجي عند تفسيره للآيات التي تذكر موضوعات العقيدة، وبيّن ما دلت عليه من قضايا تتعلق بالتوحيد وأمور الغيب وما يتعلق بالرسالات والرسل وغيرها من قضايا العقيدة.

ففي مجال الغيبيات:

تحدث خفاجي – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: **{** وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِـدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ **}** [البقرة:163] عن التوحيد والشرك، حيث قال: " أما الآية الأولى **{** وإلهكم إلـه واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم **}** فمعناها أن إلهكم الحق الحقيقي بالعبادة إله واحـد، لا إلـه مستحق لها إلا هو، فلا تشركوا به أحداً. والشرك به نوعان: أحدهما يتعلق بالألوهية والعبادة.... وثانيهما: يتعلق بالربوبية ... "[1].

وتكلم عن وظيفة الملائكة في الكون – وهم من عالم الغيب -، وذلك عند تفسير قوله تعـالى: **{**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ...**}** [الرعد:13] قال: " ومن ذا الذي يعلم من عظمـة الباري ما تعلمه الملائكة المقربون ولا يمتلئ هيبة وخشية؟ وهل لا يكون الخوف إلا من وقـوع العذاب؟ ألا فليعلم أن خوف الرهبة ربما قتل وأهلك بمجرده. والملائكة هم عباد الله المكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم بتصريف الكائنات العالمية موكلون، فمـا مـن عالم من بحار ورياح، وسحاب ورعد وبرق وزرع وحيوان، إلا وعليه ملائكة مصرفون بـأمر ربهم، حافظون عليه كيانه وآثاره، يحفظونه مما هو عرضة له بأمر ربهم كما سبق فـي تفسـير **{**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ **}** [الرعد:11]. **{** وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَ هُوَ **}** [المدثر:31] وليس هذا عن حاجة المولى **U** إليهم، حاشا لله! ولكنه نظام الملك كاملاً، وآثار العظمة باهرة " [2].

([1]) 45/2.

([2]) 35/13، قال ابن القيم: " فكل حركة في السموات والأرض: من حركات الأفلاك، والنجوم، والشمس، والقمـر، والرياح، والسحاب، والنبات، والحيوان، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض، كما قال تعالى: **{** فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً **}** [النازعات:5]، وقال: **{** فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً **}** [الذاريات:4]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام ".

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان – لابن القيم: 369، وانظر ما بعدها حيث فصّل في وظائف الملائكة وأعمـالهم المختلفة.

وعن الجن قال: "هذا والجن هي الأحياء العاقلة المكلفة الخفية غير المدركة بحواس البشر "[1]، ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى: { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ... } [الأعراف:179].

وعن موعود الله تعالى من البعث والنشور وأحوال القيامة وأهوالها المشار إليه بقوله تعالى: {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ } [الأنعام:134] يقول خفاجي - رحمه الله -: " { إنما توعدون } من مجئ الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيام {لآت } لا محالة "[2].

وفيما يتعلق بالرسل والرسالات:

يقول – رحمه الله – عن الإيمان بالرسل المنصوص عليه بقوله تعالى: { قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...} [آل عمران:84]: " فما أثبته كتابنا من نبوة كثير من الأنبياء نؤمن به إجمالاً فيما أجمل، وتفصيلاً فيما فصل، وما أثبته من الكتب كذلك " [3].

وعن تحريف الكتب السماوية السابقة نجده يقول عند تفسير قوله تعالى: { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ...} [آل عمران:75] الآيات: " في هذه الآيات الستّ تصوير صادق قوي لليهود وخياناتهم ونكثهم للعهود، وتحريفهم للكتاب المقدس، وافترائهم على الله والرسول. وقد ذكر الله U فيما سبق أحوال طائفة من اليهود كانت تكيد للإسلام وأهله، وهنا ذكر طائفتين إحداهما تستسيغ أكل أموال الناس بالباطل وتحل نفسها من الوفاء بالعهود، والأخرى تحرف كتاب الله وتنسب إليه ما لم يأذن به الله من شرك وضلال وبهتان عظيم " [4].

سادساً: موقفه من تفسير آيات الأحكام:

نظراً لأن خفاجي من الأدباء وعلماء اللغة، فإنه لم يتوسع في تفسيره لآيات الأحكام، وإنما كان يعرض لها بإيجاز، كما هو واضح من خلال تفسيره لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ...} [النساء:43] حيث قال خفاجي: " { حتى تغتسلوا } أي فلكم أن تصلوا، وفي هذا دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث لقوله تعالى: { حتى تغتسلوا } ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر { عابري سبيل } بالمجتازين فيها، وجوز للجنب

---

(1) 133/9.

(2) 28/8.

(3) 253/3، تأييداً لكلام خفاجي - رحمه الله - في أن الإيمان بالأنبياء والرسل يكون إجمالاً وتفصيلاً انظر تفسير البيضاوي 245/1 ، وكتاب الإيمان - للدكتور محمد نعيم ياسين 49.

(4) 241/3.

عبور المسجد، وبه قال الشافعي t ، وقال أبو حنيفة: لا يجوز له المرور إلا إذا كان فيه الماء والطريق إلى الماء " [1].

لم يتوسع خفاجي في تفاصيل الأحكام هنا، مع أن بعض العلماء – كالجصاص مثلاً – توسع في المسألة، وعرض الخلافات فيها.

هذا، وقد كان خفاجي يقف أحياناً عند الآية التي تحمل حكماً شرعياً، ويبين العلة من تشريع ذلك الحكم، كما في قوله تعالى: { يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ...} [النساء:11]، حيث كشف المفسر عن السر والحكمة في توريث الشارع للذكر مثل حظ الأنثيين، قال: " وإنما فضل الذكر على الأنثى لاختصاصه بلزوم ما يلزم الأنثى من الجهاد وتحمل أعباء الأسرة وغيرهما، وله حاجتان: حاجة لنفسه وحاجة لزوجته، والأنثى حاجة واحدة لنفسها، بل هي غالباً مستغنية بالتزويج عن الإنفاق من مالها، ولكن لما علم الله تعالى احتياجها إلى النفقة وأن الرغبة تقل فيها إذا لم يكن لها مال جعل لها حظاً من الإرث وأبطل حرمان الجاهلية لها " [2].

سابعاً: موقفه من التفسير العلمي:

عرض خفاجي – رحمه الله – أحياناً للتفسير العلمي، وكان يربط التفسير العلمي بالغرض الديني، والهدف الذي سيقت هذه الإشارة العلمية من أجله، كما في تفسير قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً ...} [الرعد:3] حيث قال: " وقوله { وهو الذي مد الأرض } أي وسع أرجاءها، وسلك لكم فيها سبلاً، وبث لكم فيها منافع، وكل ذلك دال على عظمة مبدعها الحكيم، جل شأنه، وتعالى جده، ولا إله غيره. وهذا المعنى لا ينافي أن شكلها العام كروي حيث أثبته دليل المشاهدة أو غيره، أو حيث يلمح من قوله تعالى: {يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ } [الزمر:5] إذ يظهر منه أن التفاف كل منهما على الآخر وإخفاءه تحته يشبه لف كور العمامة على كور آخر منها، وهو قريب في الأجسام الكروية المستديرة، وأياً ما كان فليس المقصود هنا بيان الشكل، وإنما المقصود بيان عظمة ما أبدعه بقدرته، لنأخذ منه قدرته على تحقيق البعث الذي أنكروه، وهو أهون عليه " [3].

---

(1) 38/5.

(2) 189/4.

(3) 15/13، إن مما يدل على كروية الأرض أن الشئ الهندسي الوحيد الذي تسير عليه يبدو أمامك منبسطاً وليس له نهاية أو حافة هو الشكل الكروي، وهذا يؤكد كروية الأرض.

انظر تأملات في خلق السموات والأرض - د. أشرف فوزي عبد السلام البارودي 109.

فاستدلال خفاجي بما توصل إليه العلم من أجل تحقيق الغرض الديني الذي يهدف إلى الهداية والرشاد.

فهذا عرض موجز يوضح لنا طريقة خفاجي في تفسيره، والموضوعات التي عرض لها بإيجاز، والشرح فيها يطول، ومقام التفصيل فيها يحتاج لبحث مستقل؛ لأن المقام يقتضي ذلك.

المبحث الثاني: القيمة العلمية لتفسير خفاجي

بذل خفاجي – رحمه الله – جهده، وأنفق وقته في سبيل تفسير القرآن الحكيم، حتى خرج إلينا بهذا الوجه الحسن، وهو تفسير قيّم، ويمكن إظهار قيمته العلمية من خلال:

أولاً: تفاعل خفاجي مع القرآن:

تفاعَل خفاجي مع القرآن الكريم باعتباره معجزة خالدة، وعلى أنه دستور للحياة الإنسانية، وفيه حل لمشكلات الإنسانية في كل المجالات، وأنه مرجع البشرية إذا حزبهم أمر وأشكل عليهم الصواب [1].

ومن هذه القاعدة انطلق خفاجي في تفسير القرآن الكريم، فتجده يعرض التفسير فكرة فكرة، وموضوعاً موضوعاً، يربط بينها، ويبين ما فيها من إشارات ولطائف، وما ترشد إليه من أحكام وأخلاق وآداب، وما توحي إليه من مباديء ومُثُل وقِيَم، وهو ما تحقق فعلاً في تفسيره، من خلال وقوفه عند نهاية بعض الأرباع التي يفسرها، وخواتيم بعض السور والأجزاء.

كان خفاجي – رحمه الله – يقف عند نهاية تفسير الربع من القرآن، ويبين ما تضمنه ذلك الربع من مقاصد وأصول ومبادئ، وما احتواه من أحكام عامة وأخلاق وآداب، ثم حمل ذلك على الواقع.

والمثال على ذلك: عند ختامه لتفسير الربع الثالث من الجزء الخامس، الذي يبدأ بقوله تعالى: **{** إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا .. **}** [النساء:58] حيث قال: " وبذلك ينتهي الربع الثالث من هذا الجزء الذي احتوى على تفصيل الحديث عن دستور الحكومة الإسلامية الصالحة، وخلاصة الأفكار والموضوعات التي تضمنها هذا الربع هي:

1. تقرير المسئولية العامة والخاصة، وإلزام كل مسلم بها، وتحمل المسئولية هو أصل كبير من أصول الإسلام العامة ....
2. أمر الحكام والولاة والقضاة وكل مسئول في الأمة بأن يكون شعاره في حكمه العدل بين الناس، فالعدل هو قوام الملك، وهو أساس صلاح الأمر، واستتباب الأمن والنظام في

---

(1) انظر 4/1_5، 4/8.

المجتمع، وقد ضرب المسلمون الأولون في هذا السبيل، الذي هو تحري العدل والتزامه المثل الرفيعة التي لم يضربها أحد من الحكام والرؤساء من قبل ولا من بعد. ولم يضعف المسلمون وتذهب شوكتهم إلا ببعدهم عن هذا الأصل الإسلامي الجليل...

3. طاعة الله وطاعة الرسول **r** فيما أمر به واجبة مفروضة على كل مسلم.

4. وجوب التحاكم إلى كتاب الله ودينه وشريعته في كل شيء ... " [1].

وهكذا يستمر في ذكر هذه الأصول والمبادئ والقِيم التي تضمنها رُبع الآيات التي فسرها.

وهذا مثال ثانٍ: عند ختمه لسورة النساء، قال: " هذه خاتمة سورة النساء، هذه السورة الكريمة التي تضمنت أروع الأصول والمبادئ في الإسلام، وتضمنت كذلك كثيراً من الأحكام والشعائر في شريعة الإسلام الكريم، دين الإنسانية الخالد، دين القيمة والحق والصفاء والسلام، ودين الحرية والعزة والكرامة، ودين الإخاء والعدالة والمساواة بين البشر كافة.

وقد تضمنت هذه السورة دعوة قوية إلى التقوى والإيمان برسالة سيدنا محمد **r**، وتضمنت إعلان الحرب على الوثنية والشرك والكفر، وعلى المشركين والكافرين من الوثنيين وأهل الكتاب، من اليهود والنصارى.

والسورة تتضمن كذلك أعظم المبادئ والأصول في الحكم والسياسة والحرب والاجتماع وفي شئون الأسرة ....

وفي السورة كذلك كثير من الأحكام في معاملة القاصرين، وفي تحذير الأوصياء من ظلم اليتامى وأكل أموالهم، وفي الزواج والطلاق ...

والسورة تتضمن المبدائ والأصول للحكم الإسلامي، الذي يقوم على تحمل كل مسلم للمسئولية وأدائه لها كاملة، وعلى التزام العدل في معاملة الناس .... " [2].

وهكذا يستمر في بيان الأصول والمبادئ التي تضمنتها هذه السورة الكريمة.

إذن، سلّط خفاجي الضوء على المبادئ والأصول عند تفسيره للقرآن الكريم، وهي سمة بارزة في تفسيره، أكد عليها في مقدمات بعض الأجزاء من تفسيره، ووفّى بها وتفاعل معها خلال التفسير.

---

(1) 5/80_85.

(2) 6/58_62.

ثانياً: الانتصار للدين:

يظهر لنا من خلال تفسير خفاجي – رحمه الله – أنه انتصر فيه لله **U** ولكلامه، ولسيدنا رسول الله **r** ، وللإسلام، وقد اتخذ لذلك طريقين:

الأولى: رده على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام، وتبيين زيف الأنظمة والمذاهب الفكرية المعاصرة؛ كالشيوعية والرأسمالية وغيرها، وأنها لا تفي بحاجة العصر، وإنما الذي يفي بحاجات العصر ومتطلباته هو الإسلام، دين الله.

الثانية: اعتماده أحياناً - في رده على تلك الشبهات - على شهاداتٍ من أنفسهم تشهد للإسلام، وهذا أفضل الرد وأحسنه.

فانظر مثلاً قول خفاجي – رحمه الله – في نهاية الجزء الثامن: " والعجب العجيب، والأمر الغريب أن يكون هناك من الناس من يتخيلون أن مظهر استقلال الرأي وحرية التفكير إنما هو في جحود الإنسان كل ما لا يقع تحت حسه، ولو صح ما يقولونه لوجب أن ينكروا كثيراً من الحقائق العلمية التي لا يماري فيها إلا الجاهلون. ويكفي في الرد على مثل هؤلاء ما قاله « كاميل فلامريون » [*]في كتابه « الموت وغامضته »، قال: الإنسانية تعيش في جهالة بعيدة الغور، وهي لا تدري أن تركيبنا الجثماني الطبيعي لا يعرفنا بحقيقة الواقع من الحوادث الوجودية، فإن حواسنا تخدعنا عنها، والتحليل العلمي وحده هو الذي يؤتي عقولنا عنها بصيص من النور، من أمثلة ذلك أننا لا نشعر بشئ من الحركات الهائلة للكوكب الذي نعيش عليه، فإنه يظهر لنا ساكناً ... " [1].

وهذا الكلام رد منه على جاحدي كل ما لا يقع تحت حواسنا.

وفي نهاية تفسير الربع الخامس من الجزء التاسع، الذي يبدأ بقوله تعالى: **{** وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ... **}** [الأعراف:171] نجد خفاجي يرد على الماديين حول عقيدة التدين، فذلك من الأصول التي تضمنها الربع:

3 – التعجب من كفر الكافرين بعدما أنزل الله من الآيات ونصب من دلائل على التدين والتوحيد....

(*) هو: فلامريو كامي، فلكي فرنسي ومؤلف، عمل عدة سنوات في مرصد باريس والمكتب الفلكي، من مؤلفاته « الفلك للجميع »، تناولت مؤلفاته فيما بعد الروحانيات، من أهم ما ألفه عنها كتاب «الموت وغموضه »، توفي سنة 1925م. الموسوعة العربية الميسرة 5/2422_2423.

(1) 167/8.

والكافر كذلك يعيش ذليلاً مخفوض الرأس، يخلد إلى الأرض؛ لأنه يعيش وحده في الحياة، أما المؤمن فيعيش شامخ الأنف، مرفوع الرأس، لأنه مع الله رب الكون والحياة. إن الإيمان استجابة لنداء الفطرة الإنسانية في التدين وفي اليقين بعقيدة، ولو لم يؤمن الإنسان لوصل بعقله إلى وجوب أن يؤمن وأن يختار له ديناً من الأديان يعتنقه ويتبع تعاليمه، وامامنا الحياة الحاضرة بما وصلت إليه من مادية وكفر وإلحاد، فقد عادت الحياة وعاد العلم الحديث ينشدان الدين ". ثم استشهد بكلام أحد الفلاسفة على استحالة إبطال التدين أو تلاشيه، فيقول: "... وفهِم معنى قول الفيلسوف العالمي « أرنست رينان » في كتابه «تاريخ الأديان »: « من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شئ نحبه، وكل شئ نعبده من ملاذ الحياة ونعيمها، ومن الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة العقلية والعلم والفن، ولكن يستحيل أن يبطل التدين أو يتلاشى، بل سيبقى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يود أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة للحياة الطينية "[1]. ثم استدل بقولين لفيلسوفين آخرين.

إذن، مما سبق يتأكد لنا أن تفسير خفاجي وإن لم يرتقِ في أسلوبه، وطريقة عرضه، والقضايا المطروحة فيه إلى مستوى بعض تفاسير أقرانه من علماء عصره – كالظلال مثلاً -، إلا أن له قيمته وفيه الفائدة النافعة.

ثالثاً: بساطة الأسلوب:

تظهر القيمة العلمية لهذا التفسير من خلال أسلوبه في توصيل المعنى، وطريقته في تبسيط المعلومة، فمن قرأ تفسيره من عوام الناس فهم المراد، وهذا هو الهدف الأهم لدى خفاجي من تفسير القرآن الكريم.

إن من الأهداف الأساسية من وراء تفسير القرآن الحكيم هو تعريف القارئ بمعاني الآيات، قال – رحمه الله –: " إن القرآن الكريم يجب أن تخلو تفاسيره من الغموض والإبهام، ومن الاصطلاحات في النحو والبيان وسواهما، ومن كل ما يعوق دون الفهم والإفهام، وهذا هو صنيعنا في هذا التفسير " [2].

ومَن قرأ في تفسير خفاجي وجد بساطة الأسلوب، ويسارة العبارة، وسلامة التعبير، بما لا يشق على عوام الناس فهمه فضلاً عن علمائهم.

---

(1) 9/149_150.

(2) 3/6.

المبحث الثالث: تفسير خفاجي ما له وما عليه:

ليس من جهد بشري إلا ويصيب فيه صاحبه أحياناً ويقصّر فيه أخرى، يَكْمُل في جانب ويَنْقُص في آخر، وهذه سمة للبشر – عدا الأنبياء والمرسلين فإنهم معصومون بعصمة الله لهم -؛ ومن ثَمّ لا عجب أن نجد خفاجي – رحمه الله – شأنه شأن غيره من الكتّاب والباحثين، له مميزات في تفسيره، وعليه مآخذ، وبيان ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: سمات تفسير خفاجي:

إذا نظرنا إلى تفسير خفاجي – رحمه الله – وجدنا أنه تميز بمميزات إيجابية عديدة، وهي ترجع إلى غزارة علمه، وسعة اطلاعه، وبُعد نظره. وقد جمعت هذه السمات والمميزات في النقاط التالية:

السمة الأولى: وضع خفاجي لتفسيره مقدمتين؛ الأولى: مقدمة عامة، تناول فيها عدة موضوعات من موضوعات علوم القرآن، وهي في الجزء الأول. والثانية: مقدمة خاصة لكل جزء من أجزاء التفسير، وقد تناول فيها موضوعات عديدة.

إن خفاجي قد اتفق مع غيره من المفسرين في وضع مقدمة عامة للتفسير، لكنه انفرد عنهم بوضع مقدمة خاصة بكل جزء من أجزاء التفسير، وهذا الذي لم أقف عليه عند أي مفسر من المفسرين القدامى أو المعاصرين.

ولنأخذ الجزءَ الأول مثالاً على ذلك، فقد بدأه بـ « تصدير » في حدود نصف صفحة، فمما قال تحت هذا العنوان: " بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين، وبعد: فهذا هو الجزء الثالث، من تفسيري لكتاب الله، الذي ضمنته شرحاً جديداً للقرآن، وأسلوباً طريفاً ..... وسوف يصدر هذا التفسير بعون الله ورعايته في ثلاثين جزءاً .... والقارئ يدرك مدى ما يأخذه كتابة هذا التفسير ونشره ...." [1].

ثم يُردِفه بـ « تمهيد »، ومما قال فيه: " هذا الجزء من التفسير، كالأجزاء السابقة، ينطق عما بذل فيه من جهود، تهدف إلى الكشف عن روح القرآن .....

وليس من عادتنا النظر إلى كتاب الله آية آية، ومعنى معنى، وإنما ننظر إليه فكرة فكرة، وموضوعاً موضوعاً، نصل اللاحق بالسابق ....

---

(1) 5/3.

نعرف بمعنى كل جملة من الآيات .... " [1]، ويستمر في هذا التمهيد في حدود صفحة ونصف تقريباً، ويبين فيها طريقته في التفسير بإيجاز، ثم شرع في تفسير الجزء الثالث من القرآن.

ولعل الفائدة من بدء التفسير بهذه المقدمة، أن أي قارئ وقع في يده أي جزء من أجزاء التفسير، فمن خلال قراءة هذه المقدمة يستطيع أن يتعرف على طريقة خفاجي في تفسيره بصورة عامة، ولا يضطر إلى قراءة تفسيره ليتعرف على ذلك، وحينما يعرف طريقته في التفسير يقرر بعد ذلك ما إذا كانت بُغيتَه المنشودة فيه أم في غيره.

السمة الثانية: نظر خفاجي في نهاية كل جزء نظرة عامة، يذكر فيها ملخصاً لهذا الجزء، ثم جعل بعدها خاتمة موجزة ومختصرة لما تضمنه الجزء، وهذه الخاتمة أكثر إيجازاً واختصاراً من النظرة العامة في الجزء، وفائدته أنه يعطي مفهوماً عاماً عن تفسير الجزء الذي خُتِم بهاتين الخاتمتين؛ وبيان ذلك:

في ختام الجزء الخامس مثلاً، بعد أن انتهى من تفسير الجزء ذكر عنواناً: " نظرة عامة في هذا الجزء "، ثم قال: " هذا الجزء الكريم – الخامس – تشتمل عليه سورة النساء، هذه السورة الكريمة التي تضمنت ما تضمنت من أحكام الزواج والطلاق والميراث، ... "، ثم بدأ ببيانٍ موجز لما تضمنه الجزء، فقال: " وفي هذا الجزء الكريم كما أبنّا:

1. بيان للمحرمات من النساء وغير المحرمات ...
2. الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ....
3. الأمر بتحمل المسئولية .... " [2]، ويستمر في ذكر ما تضمنه هذا الجزء من مقاصد وأهداف.

ثم يختم نفس الجزء بخاتمة تحت عنوان: « خاتمة هذا الجزء »، ويوجز فيها مضمون الجزء في حدود صفحة واحدة، فيقول: " خاتمة هذا الجزء. بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فهذه نهاية الجزء الكريم، من أجزاء القرآن الحكيم، وقد فصلنا الحديث فيه، وعلى ما احتوى من فرائض وشرائع، ونواميس وقوانين، وتنظيم لشئون الأسرة ... " [3].

---

(1) 197/5.

(2) 197/5_203.

(3) 204/5.

وهكذا يفعل مع باقي أجزاء التفسير، وفائدته أن الناس درجات في طلب التفسير، فبعضهم يحب الشرح والتفصيل، وهؤلاء سيجدون ما يطلبون من شرح وتفصيل للآيات، وبعضهم يحب الإيجاز، ويرغب في أخْذ فكرة عامة عن الآيات، فهذا أيضاً يجد مطلبه في نهاية الجزء.

السمة الثالثة: ومما امتاز به تفسير خفاجي – رحمه الله – أنه كان يفسر الآيات تفسيراً إجمالياً قبل أن يبدأ بالتفسير والشرح لها، وصبغة الإجمال والتفصيل في تفسير خفاجي ظاهرة، كما هو في السمات السابقة أيضاً، فتجده يذكر مقطع الآيات، ثم يبدأ في شرحها إجمالاً، ومثال ذلك تفسيره لمقطع الآيات [12-16] من سورة المائدة الذي يبدأ بقوله تعالى: **{** وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ...**}** الآيات، نجده يبدأ تفسيرها إجمالاً بقوله: " بهذه الآيات الخمس يبتدئ الربع الرابع من هذا الجزء، أو الثاني من سورة المائدة، وهذا الربع كله وقْف على عرض تاريخ أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وعلى دعوتهم إلى الإيمان ..." [1].

وبعد أن انتهى من شرحها إجمالاً بدأ بالشرح التفصيلي لها، فقال: " وقوله تعالى: **{** وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ **}** أي العهد الموثق ... " [2].

السمة الرابعة: مما يُحسَب لخفاجي – رحمه الله – أنه وضع فهرسة موضوعية عند نهاية كل جزء، تتضمن إلماحات وإشارات إلى الموضوعات التي طرقها في تفسيره لهذا الجزء، وهذا أيضاً يدخل في باب الإجمال بعد التفصيل، وفائدة هذه الفهارس أنها تعطي فكرة سريعة عما يحتويه جزء التفسير من موضوعات، وتفتح على طلاب العلم والباحثين في بعض العناوين منها – خاصة لمن كان في مرحلتي الماجستير أو الدكتوراه – اختيار موضوع البحث.

السمة الخامسة: ذكر خفاجي في نهاية كل جزء مجموعة من مؤلفاته، كتعريف للقارئ على هذه المؤلفات، ولفت انتباهه إليها للاطلاع عليها، والاستفادة منها.

السمة السادسة: التزام المفسر إلى حد كبير بالمنهج الذي رسمه لنفسه في تفسير القرآن الحكيم، فقد وضع خطة للسير عليها ذكرها في بداية بعض الأجزاء، أشار إليها باقتضاب:

يقول - رحمه الله -: " فأجدر بنا ونحن نتناول كتاب الله العزيز بالتفسير أن نتعرض لكل ما فيه من شئون الاجتماع والمدنية والثقافة والتطور، مما يلائم حياتنا الحاضرة، وتفكيرنا المعاصر، لنأخذ مما احتوى عليه أصولاً لقواعد سلوكنا، ومناهج تفكيرنا، ولنسترشد به في بناء الأمة

---

(1) 6/92.

(2) 6/93.

وطريق الوصول بها إلى جادة الخير والسداد والسلام، وكيف نبني منها أمة عزيزة قوية مرهوبة الجانب ... " [1].

وفي موضع آخر قال: " وليس من عادتنا النظر إلى كتاب الله آية آية، ومعنى معنى، وإنما ننظر إليه فكرة فكرة، وموضوعاً موضوعاً، نصل اللاحق بالسابق، ونتم السابق باللاحق، ونعرف أن وراء كل سورة هدفاً ومرمى ترمز إليه، وتدل عليه، وهذا هو الفرق بيننا وبين سائر المفسرين الذين يتناولون كتاب الله كلمة كلمة وجملة جملة وآية آية ومعنى معنى من المعاني الجزئية، بينما نتناوله جملة من الآيات تدل على موضوع واحد، وننتقل منها إلى جملة أخرى ذات موضوع جديد آخر.

نعرف بمعنى كل جملة من الآيات، وما يكمن فيها من إشارات وأسرار ولطائف عديدة، وما ترشد إليه من أحكام وأخلاق وآداب، وما توحي به من مبادئ ومُثُل وقيم ناظرين في ذلك بروح العلم الحديث، والمدنية الماثلة في كل شئ، مع العناية بتصوير الجو الروحي الذين نزلت فيه الآيات، وأسباب نزولها، وصلتها بما قبلها وما بعدها، ومع شديد الاهتمام بالجوانب الفنية العامة في أسلوب القرآن والبعد ما أمكن عن الاصطلاحات والمصطلحات، لأن القرآن هداية عامة، فيجب أن يكون تفسيره بأسلوب حديث سهل، يدركه الناس كافة، لا فرق بين عامتهم وخاصتهم على حد سواء.

إن القرآن الكريم يجب أن تخلو تفاسيره من الغموض والإبهام، ومن الاصطلاحات في النحو والبيان وسواهما، ومن كل ما يعوق دون الفهم والإفهام، وهذا هو صنيعنا في هذا التفسير " [2].

فهذه خطة التفسير التي رسمها خفاجي لنفسه في تفسيره، وقد التزم بهذه الخطة إلى حد كبير، فلا يخوض في تفسير الآية تحليلياً، بحيث يقف عند كل كلمة منها، وإنما يُجمِل في تفسيرها، ويهتم بعلم المناسبات بين السور والآيات، ويربط بين الأفكار والموضوعات التي تناولتها الآيات والسور، ويقف عند الأسرار البيانية الكامنة في الآيات، وما تحمله الآيات من أصول حضارية ومدنية وأخلاق وآداب ومبادئ وقِيَم، ويقف على جو نزول الآيات، وأسباب النزول، ويبتعد عن المصطلحات والتعقيدات التي تعوق دون الفهم والإفهام. وهذا يسوقنا إلى الحديث عن السمة السابعة.

---

(1) 6/1.

(2) 6/3.

السمة السابعة: ابتعد خفاجي في تفسيره عن الدقائق اللغوية العميقة الدلالة، القوية الأسلوب، تيسيراً على القارئين من عوام الناس؛ لأن الذي يناسبهم هو سهولة العبارة، وبساطة الأسلوب.

إننا إذا نظرنا إلى التفاسير في العصور السابقة فسنجد أنها أشبه بخطاب الخاصة، فلا يكاد ينتفع بها أكثر العوام من الناس، فأراد خفاجي أن يخرج بتفسيره هذا من تلك اللغة في الخطاب إلى لغة يكون التفسير معها أسهل إلى عموم الناس، وأقرب إلى أفهامهم، وهذا يقتضي – كما أشار خفاجي – إلى البُعد عن اصطلاحات الفلاسفة والمتكلمين، ومشكلات النحو والإعراب، ونحوها مما يصعب على عقول العامة فهمه، فكانت سمة في هذا التفسير أن امتاز بسهولة العبارة، وبساطة الأسلوب، ويكتشف القارئ هذه الحقيقة من خلال قراءته لأي موضع من مواضع تفسير خفاجي – رحمه الله -.

السمة الثامنة: اتسم هذا التفسير بالواقعية، فناقش فيه المفسر مستجدات الأمور بلغة العصر، ومن أهم القضايا المعاصرة المستجدة في هذا الواقع الذي عاشه مفسرنا ما أثاره المشككون والمستشرقون من شُبَه حول الإسلام، وما خرج إلينا من مذاهب فكرية إلحادية، فقد كان المفسّر يقوم بتفنيد شُبَه المارقين والملحدين والمستشرقين، ويكشف عن خططهم ومؤامراتهم، كما يبين خطر التيارات الفكرية والمذاهب الإلحادية على الأمة الإسلامية – حسبما اقتضاه المقام –.

ومما ورد في تفسيره في هذا الباب تلك الوقفة التي وقفها عند قوله: **{** إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً **}** [النساء:116] تحدث بإسهاب عن هذه الأفكار الهدامة، وذكر ما أنتجته عقول مفكريها من مهازل لا رصيد لها عند العقلاء. وأنقل هنا مقتطفات من كلامه - رحمه الله - في ذلك، قال: " ... وأخطر هذه المذاهب المحدثة هو مذهب المادية [1]؛ فهي أخطر المذاهب الحديثة، وأشدها حرباً لفكرة التدين في الإنسان، ولفطرة العقيدة التي فطر الله البشر عليها. وقد شن دعاتها في الغرب الحرب على الأديان، وأقاموا حكومات تؤيد مذهبهم الإلحادي، وتحمل الناس عليه بقوة القانون، وتطارد دعاة الأديان والمؤمنين بها أينما كانوا، والمادية في جملتها تذهب إلى أن المادة في كافة صورها هي المؤثرة في كل شئ، وإلى أنها في الوجود أسبق .... وممن دعا إليها في الحديث: بيكون [*]

([1]) وقف الأستاذ محمد فريد وجدي وقفة مع الفلسفة المادية، وناقش مقالات لبعض أصحاب المذهب المادي في هذا المضمار، وأتى ببعض شبهات الماديين، وأبطلها. دائرة معارف القرن العشرين 8/497- 517.

([*]) هو: فرانسيس بيكون، ولد في لندن عام 1561م، توجه نحو السياسة، فشغل عضوية البرلمان عام 1583، كان مسرفاً شديد الإسراف إلى الحد الذي ألقي القبض عليه عام 1598 لعجزه عن سداد ديونه. كان طموحاً إلى

وهوبز [**] .... وأعظم الماديين هو كارل ماركس [*] اليهودي المتطرف، وقد ورث الروح المادي عن أستاذه إنجلز [**] ... وتفسير ماركس للمادية هو الأساس الأول الذي يبني عليه الشيوعيون مذهبهم .... وكان ماركس زعيم الماديين لا يؤمن بالمُثُل، ولا يدين إلا بالمحسوسات .... كل هذا قطرة من بحر من آراء الماديين في إنكار الروحيات وجحد وجود الله، ونبذ فكرة الدين، وحربهم الخطرة على الأديان.

ولا شك أن هذا المذهب الإلحادي على ضلال مبين، وهو لا يحارب بآرائه الإسلام وحده، وإنما يشرك معه جميع الأديان ... " [1].

السمة التاسعة: كان خفاجي – رحمه الله – يربط التفسير العلمي بالغرض الديني الذي سيقت من أجله تلك الآيات التي تحمل تلك الإشارات العلمية، وهو لفت الأنظار إلى الإيمان بالله وتوحيده

الوصول إلى أعلى المراتب الحكومية والسياسية، وقد كان ذلك، فقد تولى رئاسة الوزراء عام 1618م. توفي في 1626/4/9م.

انظر كتاب قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تأليف ول ديورانت – ترجمة الدكتور فتح الله محمد المشعشع: 136-184.

(**) هو توماس هوبز، فيلسوف إنجليزي. عُرف في الميدان السياسي بكتابه « التنين الجبار أو لوياثان » الذي دافع فيه عن حكم الملوك المطلق. قال بحياة فطرية سابقة على نشأة الجماعة، ولكنها حياة فوضى وصراع اضطر الأفراد معها إلى التعاقد لإنشاء الجماعة السياسية، وهذا التعاقد تم فيما بينهم، واختاروا بمقتضاه حاكماً لم يكن طرفاً في العقد، وأن جميع الأفراد تنازلوا بالعقد عن جميع حقوقهم الطبيعية، ورتب على ذلك أن سلطان الحاكم غير مقيد بشئ، وهو الذي يضع القوانين ويعدلها حسب مشيئته. وفلسفة هوبز تجريبية ترد المعلومات إلى الخبرة الحسية وما يحدث لها من روابط. توفي سنة 1679.

الموسوعة العربية الميسرة 3529/7_3530.

(*) هو: كارل ماركس، فيلسوف وسياسي ألماني عاش ما بين 1818م – 1883م، وهو داعية الشيوعية ومؤسسها الأول، وهو موصوف بالأنانية وحب الذات. تنقل في عدة بلدان من أوربا، ومن أهم مؤلفاته « رأس المال » الذي أصبح المرجع والدستور للشيوعيين. انظر المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف الإسلام منها – تأليف الدكتور غالب بن علي عواجي: 1076/2.

(**) هو فريدريك إنجلز، اشتراكي ألماني، أسهم مع ماركس في وضع أسس النظرية الاشتراكية الحديثة، وفي صياغة البيان الشيوعي الشهير سنة 1848. اشترك في تدبير الحركات الثورية في أوربا، واضطر إلى الإقامة الدائمة في إنجلترا على أثر فشل ثورة 1848، وكان من رجال الأعمال الناجحين، وتمكن من مساعدة صديقه ماركس على التفرغ للبحث والدراسة، ومن أهم مؤلفاته «معالم الاشتراكية العلمية »، وكتاب « الدولة والملكية الخاصة ». توفي عام 1895م.

الموسوعة العربية الميسرة 465/1.

(1) 163/5_165.

وتعظيمه، وإثبات قضية البعث والنشور، وغيرها من قضايا الإيمان، فكان خفاجي يربطها بالهدف الأسمى الذي لأجله نزلت، ولا يذكر تلك الإشارة وينقلها نقلاً علمياً مجرداً.

ومثال ذلك تفسيره لقوله تعال: **{** وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ **}** [الحجر:22]، فقد أشارت الآية إلى حقيقة علمية كشف عنها العلم الحديث، وهي تلقيح النبات بواسطة الرياح، وإلى هذا المعنى أشار خفاجي - رحمه الله – عند تفسيره للآية حيث قال: " وفي الآية معجزة علمية جليلة، وهي تثبت صدق محمد فيما بلغ به عن ربه، إذ من ذا الذي كان في عصر محمد يعلم أن الرياح تحمل اللقاح من بعض الأشجار فتلقح به أشجاراً أخرى؟ " [1].

السمة العاشرة: مزج خفاجي تفسيره بالتوجيهات الدعوية، واستنبط من الآيات ما ترشد إليه، وتدل عليه، واستخلص منها العبر والفوائد، وهذا يعتبر روح التفسير، ومقصده الأسمى؛ لأن القرآن كتاب هداية، يهدف إلى إصلاح الناس في معاشهم ومعادهم، ويدفع عنهم المفاسد التي تسبب لهم الشقاوة في الدنيا والأخرى، فاستنباط العبر والعظات من الآيات يعتبر جانباً مهماً لتحقيق هذا المقصد.

ومما جاء في تفسير خفاجي في ذلك، ما أورده عند تفسيره للآية الكريمة: **{** كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ ...**}** [الأنفال:52] الآيات، حيث قال مستنبطاً ما دلت عليه من عبر: " وفي هذه الآيات الكريمات أصلان عظيمان يجب تدبرهما:

وأول هذين الأصلين أن الله **U** لا يغير نعمة أنعمها على أمة حتى تغير الأمة ما بنفسها، فهو لا يصيب أمة بالمحن والشدائد إلا إذا خرجت على العقيدة الصالحة والأخلاق المثلى وكفرت بالله ورسالته، وهو **U** لا يبتلي شعباً من الشعوب بنقص الرزق والبركة، ولا يسلبه الحرية والأمن والسلام إلا بسبب أعمال هذا الشعب نفسه، وبسبب كفره وشركه وخروجه على طاعة الله، فالأمم لا تمتحن بزوال حريتها واستقلالها، وبذهاب عزها ومجدها، وبانقراض غناها وثرائها وحريتها، إلا بسبب ما تقترف من خروج على الناموس الإلهي، ونشوز على الله ودينه، وبسبب ما ترتكب من معاص وذنوب وسيئات. إن كفر الأمة وشركها وتركها لإقامة العدل هو سبب ما يصيبها من محن في مالها ورزقها وفي حريتها وكرامتها وعزها.

([1]) 138/13، قال الدكتور السيد الجميلي: " أثبتت التجارب الحديثة أن الرياح من أهم وسائل تلقيح النبات، حيث يحمل الهواء حبوب اللقاح من النبات المذكر إلى المؤنث ليتم الإخصاب، وهذه العملية ضرورية بل محتومة في كثير من النباتات المعروفة ".

الإعجاز العلمي في القرآن – للدكتور السيد الجميلي 47، وانظر الموسوعة العلمية الشاملة 318.

والأصل الثاني يؤيد هذا الأصل، وهو أن دمار الأمم والشعوب إنما هو بسبب معاصيهم وذنوبهم وما يقترفون من سيئات؛ فالذنوب صغيرها وكبيرها وفي مقدمها الشرك والجور، هي سبب فناء الأمم وهلاكها واضمحلالها، وتسلط الأمم الأخرى عليها، ولو وعى ذلك حكام الأمم والشعوب لأراحوا واستراحوا، واستبداد الحاكمين وجورهم وظلمهم لشعوبهم هو سبب لهلاك أممهم معهم، وتكون المصيبة أفدح لو كان الشعب نفسه هو الذي اقترف الذنوب والمعاصي والسيئات، حينئذ يسلط الله عليه أمة أخرى تتحكم في مصيره، تمحو حريته واستقلاله وعزته وكرامته محواً، وينتقم الله منه انتقاماً مروعاً مدمراً، كما حدث لفرعون وقومه، ولغيرهم من الشعوب والأمم والمدنيات والحضارات خلال عصور التاريخ " [1].

السمة الحادية عشرة: كان خفاجي – رحمه الله – موفقاً في لغته وطريقته في توضيح المعاني، وتوصيل الأفكار إلى القرّاء الكرام، فقد سلك في تفسيره سبيل التمثيل في بيان الألفاظ والمعاني، وهي من أهم الوسائل التعليمية للإفهام، وبالمثال يتضح المقال.

والتمثيل قد يكون بإيجاد حالة مشابهة، وذلك لتقريب المعنى؛ مثلما ورد عند تفسيره لقوله تعالى: **{** وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ...**}** [الأنعام:38] حيث قال: " ... وإنما قال بجناحيه مع أن الطيران لا يكون إلا بهما قطعاً لمجاز السرعة ونحوها كما تقول: كتبت بيديّ ونظرت بعينيّ " [2].

وقد يكون التمثيل بذكر بعض أفراد العام على سبيل المثال، كما في تفسيره لقوله تعالى: **{**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ **}** [النحل:18] حيث ذكر بعض أنواع النعم، فقال: " **{** نعمة الله **}** أي إنعام الملك الأعظم الذي لا رب غيره عليكم من صحة البدن وعافية الجسم وإعطاء النظر الصحيح والعقل السليم وبطش اليدين ومشي الرجلين، إلى غير ذلك مما أنعم به عليكم ... " [3].

إذن، هذا سبيل مهم في توضيح المعاني والألفاظ، وتقريبها إلى المدارك والأفهام.

السمة الثانية عشرة: سلك خفاجي في تفسيره أيضاً طريق طرح السؤال، الذي غرضه التأثير في نفس القارئ، وشد انتباهه، وتحريك عقله، واستثارة ملكة التفكير عنده، وجعله موصولاً بالكاتب أو المتكلم، وهذا الطريق سلكه القرآن الكريم؛ حيث كان كثيراً ما يسأل ويستفهم: **{**أَلَمْ تَرَ ...**}**

---

(1) 77/10.

(2) 117/7.

(3) 185/13_186.

{ أَفَلَم يَسِيرُوا ... } { قُلْ أَرَأَيْتُمْ ... } إلى غير ذلك من الأسئلة؛ لذلك نجده - رحمه الله - كثيراً ما يطرح التساؤلات؛ ويجيب عنها أحياناً، ويترك الإجابة للسامع أو القارئ أكثر الأحيان.

فمن ذلك ما ورد عند تفسيره لقوله تعالى: { إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ ...} [التوبة:40] حيث قال فيها: " ... والله عزيز في حكمه لا يغلبه غالب، وحكيم في تدبيره لا ينقضه إنسان. فكيف بكم أيها المسلمون تتأخرون، إذا دعا الرسول للجهاد في ساعة العسرة، حين عزم على غزو الروم في تبوك عام عشرة من الهجرة [1] وقت قحط وقيظ، ومع بعد الشقة وكثرة العدو وأخطار الجهاد؟ كيف بكم لا تلبون داعي الله، وتخلدون إلى الأرض والهوان، أآثرتم الدنيا وزينتها على حب التضحية والكفاح في سبيل الله والدين؟ إلا تنصروا الله ودينه ورسوله حينئذ، فإنه ناصره ومؤيده وراعيه، وقد نصره في مواطن كثيرة؛ يوم هجرته، ويوم بدر، والأحزاب، وحنين، حتى أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وأعز الإسلام، وكتب المجد والفخار والخلود والعزة للمسلمين " [2].

السمة الثالثة عشر: كان خفاجي شديد الحب للإسلام، صادق الانتماء إليه، ينتصر له، ويغار عليه، ويعتز به. يظهر ذلك من خلال وقفاته المتكررة مع الإسلام أثناء تفسيره، يبين سماحته، وأنه دين سلام، يدعو إلى مكارم الأخلاق والمُثُل العليا ... الخ.

وهذا مثال يؤكد ذلك، حيث قال: " وبعد، فإن هذا الروح الكريم، هو روح الإسلام في ديمقراطيته [3] النبيلة، وفي روح المساواة التي عمت جميع طبقاته، وفي تفضيله للعمل الصالح من أي إنسان كان العمل، ومن أي طبقة كان هذا الإنسان.

ولقد جمع الإسلام وكتابه الحكيم شتى أصول التقدم الأدبي والروحي والمادي والاجتماعي، ودعا إلى مختلف المقومات العالية لمدنية فاضلة كريمة مهذبة، غايتها سعادة الفرد والجماعة والأمم والإنسانية، وأحكام الإسلام وآدابه، وهي نمط رفيع للمثل العليا التي سعدت بها البشرية، واستقامت بها حال الاجتماع، وفاءت إلى ظلها الظليل الشعوب.... جاء الإسلام يبشر الجماعات والشعوب بحرياتها، ويدعو إلى أكرم ما في الحياة من مبادئ، وإلى أسمى ما تتطلع إليه الإنسانية من مُثُل وغايات وأهداف .....

([1]) ذكر ابن هشام في سيرته 140/4/2 أن غزوة تبوك وقعت في رجب سنة تسع. قال ابن حجر: " فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف ". فتح الباري 111/8.

([2]) 45/11.

([3]) يجد القارئ بعض المصطلحات التي يتناولها المفسر في تفسيره كهذا المصطلح – ديموقراطية الإسلام -، وليس يعني به – كما يبدو من خلال السياق – ذلك المعنى الذي تدل عليه الديمقراطية بمعناها المتعارف عليه عند السياسيين وأصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة، والله أعلم.

لنشر السلام في الأرض دعا الإسلام إلى المساواة الكاملة بين الناس جميعاً الصغير والكبير، والمحكوم والحاكم، والفقراء والأغنياء، وبين جميع الطبقات والجماعات.... " [1].

ويستمر في ذكر مبادئ وأصول الإسلام، وما اشتمل عليه من أحكام تحقق للناس – كل الناس – سعادتهم وأمنهم.

ومن ناحية أخرى فإنه كان ينتصر للإسلام بالرد على شُبَه الخصوم من أعداء الإسلام؛ مستشرقين وملحدين وماديين، وينقد المذاهب الإلحادية السائدة، وذلك نصرة لدين الله، وتأكيداً على أن الإسلام هو الدين الحق الذي ينبغي أن يُتّبع؛ كي تتحقق السعادة للإنسانية.

فهذه جملة من السمات التي امتاز بها تفسير خفاجي – رحمه الله -.

المطلب الثاني: المآخذ على تفسير خفاجي:

قلنا إن الجهد البشري يتسم بالنقصان، فلا يخلو من خطأ أو تقصير، وهذا ليس عيباً ما لم يكن قد تجاوز الحد، ومن ثَم لا عجب من أن نجد على خفاجي – رحمه الله – بعض المآخذ، التي لا يضر مثلها، ولا يُنقِص من شأن تفسيره القيِّم، ولا من شأن صاحبه، ولكنها استدراكات متواضعة تزيده قدراً ورفعة، وهذه الاستدراكات أبينها من ناحيتين:

** **من الناحية المنهجية:**

تتمثل المآخذ من الناحية النمهجية في النقاط التالية:

أولها: الإكثار من نقل الإسرائيليات، سواء كان هذا النقل لما جاء في توراة اليهود أو أناجيل النصارى، فقد كان ينقل عنهم صفحات قد تصل إلى عشر صفحات أحياناً، كما ورد ذلك عند تفسير مقطع الآيات الذي يبدأ بقوله تعالى: **{** يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ **}** [البقرة:47-59]، حيث قال: " هذه الآيات الثلاثة عشر تحتوي على قصة موسى مع قومه بني إسرائيل، وهي قصة عجيبة فيها عظة وعبرة للمعتبرين، وتفصيل ذلك كله أن موسى ..... " [2]، وبدأ يسرد أحداث القصة بما ورد من إسرائيليات، وهذا يعتبر عيب في التفسير، نبّه إليه بعض العلماء وحذروا منه[3]، وهو مأخذ يؤخذ على بعض المفسرين ممن يروونها في تفاسيرهم، وكان الواجب على المتأخرين من المفسرين أن يكونوا أكثر حذراً من

---

(1) 7/133_137.

(2) 1/161_169.

(3) انظر مثلاً كتاب الإسرائيليات في التفسير والحديث – للدكتور محمد حسين الذهبي 41-54، والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير – للدكتور رمزي نعناعة 98-105، وانظر بعض علوم القرآن؛ ككتاب المقدمات الأساسية في علوم القرآن 343-352، وغيره.

سابقيهم، لأن الرؤية حول خطر الإسرائيليات باتت واضحة، فلا يصح الانزلاق في هذا الخطر الدخيل.

ثانيها: النقل المطوّل عن بعض المفسرين وغيرهم؛ كالشيخ محمد رشيد رضا والفخر الرازي، حيث كان ينقل عنهم صفحات عديدة؛ مثل نقله عن تفسير المنار في موضوع المتشابه عند تفسير قوله تعالى: **{** هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ...**}** [آل عمران:7]، حيث بلغ عدد الصفحات المنقولة حوالي أربع صفحات[1].

ومنه كذلك نقله عن كتاب « العلم والإيمان » عند تفسير قوله تعالى: **{** وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ **}** [البقرة:96]، حيث نقل عنه قضايا تاريخية تخص بني إسرائيل حوالي ثلاث صفحات [2].

لا يكاد يخلو تفسير من نقولات عن العلماء السابقين للمفسِّر في مختلف المجالات، لكن هذا النقل يكون عيباً في التفسير إذا طال ولم يترتب عليه فائدة، فيكون حينئذٍ تكرار غير محمود.

ثالثها: الاستطراد أحياناً، بحيث يستطرد في ذكر قضايا قد لا يكون لها علاقة بالآية إلا من بعيد، مع التطويل في الشرح والتفصيل، وذلك مثل الحديث عن هجرة سيدنا رسول الله **r** وصاحبه أبي بكر الصديق **t** إلى المدينة، عند تفسير قوله تعالى: **{** إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ ... **}** [التوبة:40]، فقد سرد أحداث الهجرة بما ينسجم مع الآية، ثم أعقبها بتحليل استطرد فيه، واستغرق ما يزيد على أربع صفحات [3].

ومنه كذلك استطراده بذكر البحث الذي ختم به تفسير سورة الأنفال في الجزء العاشر، وهو بعنوان « سورة الأنفال والأصول الحضارية »، وقد اسغرق من تفسيره إحدى وثلاثين ورقة، أي أكثر من ستين صفحة [4]، وهذا الاستطراد منه يصلح أن يكون في كتاب مستقل، ويشير إليه في تفسيره إشارة؛ ليُرجَع إليه ويُستفاد منه، أما ذكره في التفسير يكون من قبيل الحشو والاستطراد.

رابعها: السكوت عن مراجعه أحياناً، فقد كان يأخذ عن بعض المفسرين دون أن ينسب إليهم ما نقله عنهم.

([1]) انظر 3/143-146، وهذه الصفحات المنقولة هي من تفسير المنار 3/135-137.

([2]) انظر1/112_115.

([3]) انظر 11/58_62، 2/89_92.

([4]) انظر 10/114_176.

ومثال ذلك: عند تفسير قوله تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ } [البقرة:248] نقل عن تفسير المنار ولم ينسب إليه هذا الكلام المنقول [1].

وانظر مثلاً عندما فسر قوله تعالى: { وَفَارَ التَّنُّورُ } [هود:40]، حيث نقل تفسيراً للإمام البغوي ولم ينسبه إليه [2].

خامسها: ورود الدخيل في تفسيره؛ وهو مما وقع فيه كثير من المفسرين، مع عدم التنبيه إلى ذلك أحياناً، أو الحكم على الروايات الدخيلة وبيان ضعفها، وقد سبقت الإشارة إلى موضوع الدخيل في المبحث الأولى من هذا البحث.

سادسها: تسمية ما ليس بمعجزةٍ معجزةً؛ كما في تفسيره لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء ...} [النساء:1] قال: " ولا شك أن الخلق إذا بدأ بنفس واحدة، ثم تكاثر إلى ذكر وأنثى، ثم تكاثر إلى ما لا يحصى من الذكور والإناث؛ لا شك أنه معجزة ضخمة عظيمة تذهل العقول والألباب، وتدعو إلى الإعجاب والتقدير " [3].

وهذه التسمية منه للأمر العجيب معجزةً غير صحيح؛ لأن المعجزة لها ضوابطها وشروطها [4]، وهي مما لا يظهر إلا على يدي مدعي النبوة بعد بعثته رسولاً.

سابعها: تعيين المبهم، خلافاً لما قرره في غير موضع من تفسيره من عدم تعيين المبهم، كما فعل عند تفسير قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ...} [البقرة:54] حيث يقول: " وقصة القتل المذكورة هنا في هذه الآيات مذكورة أيضاً في التوراة التي يتدارسونها إلى اليوم، ففيها - دعا موسى: مَن للرب فإليَّ، فأجابه بنو لاوي فأمرهم أن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضاً ففعلوا، فقتل في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلالف رجل، والعبرة من القصة لا تتوقف على عدد معين فلنمسك عنه ما دام القرآن لم يتعرض له " [5].

([1]) انظر 1-2/231_232، وتفسير المنار 385/2.

([2]) انظر 37/12، وتفسير البغوي 176/4.

([3]) 156/4.

([4]) انظر كتاب المواقف للإيجي 338/3-339. وقد جمع أستاذنا الدكتور عبد السلام اللوح في مقدمة رسالة الماجستير « الإعجاز العلمي في القرآن الكريم » شروط المعجزة نحواً من عشرة شروط.

([5]) 170/1، والرواية المذكورة وردت في العهد القديم: سفر الخروج – الإصحاح الثاني والثلاثين.

لكن المفسر خالف منهجه في الإمساك عن تعيين ما لم يتعرض له القرآن، فعمد إلى تعيين المبهم أحياناً، مثلما جاء في تفسير قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } [آل عمران:40] حيث نجده يقول: " { وقد بلغني الكبر } أي أدركني كبر السن وأثر في، وكان عمره مائة وعشرين سنة، وقيل تسعاً وتسعين سنة { وامرأتي عاقر } أي لا تلد، من العقر وهو القطع، لأنها ذات عقر من الأولاد وكانت بنت ثمان وتسعين سنة "[1].

فتحديد الأعمار لم يرد به القرآن، ولم ترد به سنة النبي r، وهو من الأمور المبهمة.

ثامنها: يؤخذ على خفاجي – رحمه الله – نقله للأحاديث من غير مصادرها أحياناً، وهو قليل، والأصل في نقل الحديث أن يؤخذ من بطون كتب السنة الأصلية، ككتب الصحاح والسنن والمسانيد ونحوها.

والمثال على ذلك: أخذه حديث من تفسير الكشاف للزمخشري، وذلك عند تفسير قوله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } [التوبة:18]، حيث قال:" وفي الكشاف أنه r قال: قال الله تعالى: إن بيوتي في أرضي المساجد، وإن زواري فيها عمارها ..... " [2] وساق الحديث.

تاسعها: يؤخذ عليه كذلك عدم وضع إشارة أو علامة تدل على نهاية الاقتباس من التفسير أو الكتاب الذي أخذ عنه في أغلب المواضع، الأمر الذي يجعل القارئ لا يستطيع التمييز بين قول المفسر وقول صاحب الكتاب أو التفسير الذي نقل عنه إلا بالمقارنة بينهما.

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: { جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ ...} [المائدة:97]، ذكر قول الفخر الرازي، حيث قال: " قال الفخر الرازي [9-672/3]: والمراد بعض الناس وهم العرب، وإنما حسن المجاز لأن أهل كل بلد إذا قالوا: الناس فعلوا كذا وصنعوا كذا، فهم لا يريدون إلا أهل بلدتهم، فلهذا السبب خوطبوا بهذا الخطاب على وفق عاداتهم " [3].

والكلام المذكور بطوله من كلام الفخر الرازي، ويختلط على القارئ نهاية كلام الرازي؛ أهو إلى قوله: « وهم العرب » أم إلى نهاية الكلام المذكور؟ أم يدخل معه التفسير الذي يليه؟! ولو أتى بعلامة أو إشارة تبين نهاية الاقتباس لما وقعنا في الوهم، ولما التبس علينا الأمر.

([1]) 204/3 ، وتحديد عمر زكريا u وامرأته ذكره البغوي في تفسيره 35/2.

([2]) 23/11، هذا الحديث وقبله حديثان، وبعده ثلاثة أحاديث جميعها وردت في الكشاف للزمخشري 316/1، ولم أقف على هذا الحديث في كتب المتون، وقد ذكره الإمام الغزالي في الإحياء 152/1.

([3]) 48/7.

** **من الناحية الفنية**:

أما من الناحية الفنية والشكلية للتفسير فإنه يؤخذ عليه عدم مراجعة المفسّر له ومتابعة الأخطاء الطباعية فيه بعد طباعته، وهي قليلة:

منها: زيادة واو قبل « ما » في الآية الكريمة: { مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ } [الأنعام:111][1]، والزيادة في القرآن الكريم لا تصح بحال.

وفي موضع آخر ذكر حديث سعد بن أبي وقاص حينما أنكر عليه النبي r تسميته للمسلم مؤمناً، حيث قال خفاجي – رحمه الله – في ذلك: " .... كما أنكر على سعد بن أبي وقاص قوله: « أعطه فإني لا أراه مؤمناً، فقال: أو مسلماً » "[2]، حيث زاد خفاجي كلمة (لا)، وهذا الخطأ في الطباعة غيَّر معنى الحديث، ونصُّ الحديث: « أعطه فإني لأراه مؤمناً ».

أذكِّر مرة أخرى أن مثل هذه الملاحظات المأخوذة على تفسير خفاجي لا تضر هذا التفسير القيم، ولا تنقص من قدره، أو تقلل من شأنه، فيكفيه شرفاً أنه تفسير لكلام الله.

الخاتمة

لعل من المفيد استخلاص أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث وفق القسم المطبوع من تفسير خفاجي، وأهم التوصيات التي يوصي بها الباحث.

أولاً: أهم النتائج:

1. تفسير خفاجي يدخل تحت التفسير الإجمالي باعتبار الأسلوب، والتفسير بالرأي باعتبار المصدر، والتفسير اللغوي والإصلاحي باعتبار المحتوى والمضمون، وأهل السنة والجماعة باعتبار الفكر.
2. أخذ خفاجي تفسيره من معين الأزهر الشريف، فكان تفسيره خالياً من البدع والضلالات، نظراً لصحة نيته، وسلامة عقيدته.
3. خفاجي من علماء اللغة والأدب، في هذا المجال برع، وفيه أكثر من التأليف والتصنيف، ولهذا فإن بُعده عن دراسة الحديث الشريف وتخريجه وكيفية الحكم عليه أدى إلى ذكر الأحاديث بأنواعها، الصحيحة والحسنة والضعيفة والموضوعة، دون الحكم عليها أو التعرض لها بالنقد.

([1]) 45/8.

([2]) 132/8، والحديث أخرجه البخاري 27/1: 18، ومسلم 132/1: 150.

4. اعتنى خفاجي بالتفسير بالمأثور؛ سواء تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بأقوال الصحابة والتابعين.
5. تفسير خفاجي فيه كثير من الدخيل، وبخاصة ما كان في جانب الإسرائيليات، وهو يوردها دون نقد أو تمحيص غالباً.
6. التفسير من ناحية اللغة عند خفاجي كان بعبارات مختصرة، وألفاظ موجزة، ولم يتوسع في بيان معنى اللفظ القرآني، أواستنباط الدلالات البيانية منه، وبدون استعمال المصطلحات؛ كمصطلح الاستعارة المكنية أو التصريحية أو المجاز المرسل أو غيرها من المصطلحات التي لا يفهمها العامة، ولا يخوض في مسائل النحو والإعراب، فكل ما يتعلق بمسائل اللغة والبلاغة يذكرها بإيجاز.
7. برغم أن خفاجي شاعر، وله دواوين في الشعر، إلا أنه لم يستدل في تفسيره من الشعر إلا أبياتاً بعدد، يكاد وجودها لا يكون.
8. يهتم خفاجي بجانب المناسبات، وربط الأفكار والموضوعات، وإيجاد أوجه التناسب بين السور والمقاطع والآيات، فلا يكاد يمر مقطع دون أن يذكر وجه المناسبة بينه وبين سابقه، ولا يأتي على سورة حتى يربط بينها وبين سابقتها.
9. يردّ خفاجي على شبهات المستشرقين والمارقين، وينقد المذاهب الفكرية المعاصرة؛ كالشيوعية والرأسمالية وغيرها حسبما اقتضاه المقام.
10. لم يتوسع خفاجي في تفسير آيات الأحكام، ولم يذكر تفصيلات ومسائل الفروع التي تضمنتها هذه الآيات، وإنما يهتم ببيان أسرار التشريع التي جاءت بها تلك الأحكام.
11. خلا تفسير خفاجي من التعصبات المذهبية أو الفقهية، أو في أي المجالات التي طرقها في تفسيره، وإنما نحا منحىً وسطاً.
12. التفسير العلمي لدى خفاجي قليل، وقد كان يربطه بالغرض الديني.
13. اتخذ خفاجي طريقاً في تفسير كل جزء؛ حيث يجعل لكل ربع من أرباع الجزء من القرآن تفسيراً، ويجعل لهذا التفسير خلاصة يوجز فيها أهم المبادئ والأصول التي تضمنها هذا الربع، وهكذا الربع الذي يليه فالذي يليه، حتى ينتهي من تفسير الجزء كاملاً، ثم يجعل للجزء أيضاً خلاصة يوجز فيها ما تضمنه هذا الجزء من مبادئ وأصول وأهداف.
14. خفاجي مسبوق في أغلب ما عرض من قضاياً في تفسيره، مثل: رده على شبهات المستشرقين أحياناً، وإدراك أسرار التشريع، وبيان المبادئ العامة والمقاصد التي دلت عليها الآيات.

15. راعى خفاجي في تفسيره قدرات الناس، فوضع تفسيره بأسلوب سهل يستطيع أن يفهمه العامة.
16. اعتمد خفاجي في تفسيره على سابقيه من المفسرين؛ كالطبري والبغوي والفخر الرازي والزمخشري والشيخ محمد رشيد رضا وغيرهم، وقد تأثر بهم، سيما محمد رشيد رضا.

ثانياً: أهم التوصيات:

1. هذا التفسير لم يُطبع منه إلا ثلاثة عشر جزءاً - حتى الآية 50 من سورة النحل - من ثلاثين جزءاً ، وما تبقى منه – أي الأجزاء السبع عشرة الباقية – بقي مخطوطاً حتى الآن، ورجاؤنا أن يهيئ الله له من يقوم بتحقيقه ونشره؛ كي تعم به الفائدة، وتُثْرى به المكتبة القرآنية.
2. تفسير خفاجي من أفضل التفاسير المعاصرة لو تجرّد مما فيه من إسرائيليات، وأحاديث ضعيفة، وكل ما خالطه من دخيل، وعلى القارئين أن يأخذوا حذرهم عند قراءاته، كي لا يعلق بأذهانهم معلومات دخيلة تضر ولا تنفع.
3. أتوجه إلى طلاب العلم والباحثين إذا أرادوا أن يقفوا على موضوعات للبحث فيها فليقرأوا فهرس الموضوعات في آخر كل جزء، فإنها تفتح عليهم بإذن الله، وتوقفهم على الموضوع.

وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحابته الأخيار وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين

المصادر

1. خفاجي، محمد عبد المنعم، تفسير القرآن الحكيم. الطبعة الأولى، دار العهد الجديدة، ومكتبة النجاح، النجف الأشرف، العراق.
2. النجار، جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب، أصول الدخيل في تفسير آي التنزيل. الطبعة الرابعة، (1429هـ = 2008م).
3. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار الفكر، (1405هـ).
4. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل (تفسير البغوي). الطبعة الأولى، دار طيبة، (1409هـ = 1989م).
5. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم. الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، (1408هـ = 1988م).
6. الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار الفكر، (1417هـ = 1997م).
7. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح. مكتبة لبنان ناشرون، (1415هـ = 1995م).
8. فخر الدين الرازي، محمد بن ضياء الدين عمر، مفاتح الغيب (التفسير الكبير). مطبعه علي بك، الاستانه.
9. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح (صحيح البخاري). الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، (1407هـ = 1987م).
10. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، تقريب التهذيب. الطبعة الأولى، دار الرشيد، (1406هـ =1986م).
11. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربي، (1407هـ).
12. رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
13. خليفة، إبراهيم، الدخيل في التفسير. دار البيان، (1417هـ = 1996م).
14. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح (صحيح مسلم). الطبعة الأولى، دار الحديث، (1412هـ= 1991م).

15. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي، سنن الترمذي (الجامع الصحيح). دار إحياء التراث العربي.
16. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار المعرفة، (1379هـ).
17. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. الطبعة الأولى، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علو، (1413هـ = 1992م).
18. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط. الطبعة الأولى، درا الكتب العلمية، (1413هـ= 1993م).
19. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب. الطبعة الأولى، دار الفكر، (1404هـ=1984م).
20. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، (1408هـ = 1988م).
21. السيوطي، أبو الفضل جلال الدين بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن. الطبعة الأولى، دار الفكر، (1416هـ= 1996م).
22. الذهبي، محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث. الطبعة الرابعة، مكتبة وهبة، (1990م).
23. أبو شهبة، محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير. الطبعة الرابعة، مكتبة السنة.
24. السيد الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن. الطبعة الثانية، دار ومكتبة الهلال، ودار الوسام، (1992م).
25. العهد القديم.
26. البارودي، أشرف فوزي عبد السلام، تأملات في خلق السموات والأرض. الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث، (1420هـ = 2000م).
27. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير. الطبعة الثانية، مكتبة العلوم والحكم، (1404هـ = 1983م).
28. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري، السيرة النبوية. الطبعة الثانية، دار الحديث، (1419هـ = 1998م).

29. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، إغاثة اللهفان من مصائد الشـــيطان. المكتبة التوفيقية.

30. ياسين، محمد نعيم، الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه. بدون ناشر.

31. خفاجي، محمد عبد المنعم، مواكب الحياة. بدون ناشر.

32. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرون. دار الفكر.

33. غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة. دار القلم، ومؤسســـة فـــرانكلين للطباعـــة والنشر.

34. الخطيب، أحمد شفيق، الموسوعة العلمية الشاملة. مكتبة لبنان ناشرون.

35. جبر، زهران محمد، صفحات من الفكر المعاصر. الطبعة الأولى، مطبعة دار البيان بمصر، (1410هـــ = 1990م).

36. عواجي، غالب بن علي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف الإسلام منها. الطبعة الأولى، المكتبة العصرية الذهبية، (1927هـــ = 2006م).

37. الحاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة. الطبعـــة الثانية، مكتبة ابن حجر، (1424هـــ = 2003م).

38. المشعشع، فتح الله محمد، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي. الطبعة السادسة، مكتبة المعارف، (1408هـــ = 1988م).

39. الجُدَيع، عبد الله بن يوسف، المقدمات الأساسية في علوم القرآن. الطبعة الأولى، نشر مركز البحوث الإسلامية، توزيع مؤسسة الريان، (1422هـــ=2001م).

40. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الأوسط. دار الحرمين، القاهرة.

41. النشاط الثقافي، حفل تأبين الأستاذ الدكتور/محمد عبد المنعم خفاجي. مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، المجلد الثاني، العدد الرابع والعشرون، ص:1787 (2006م).

42. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين. درا المعرفة – بيروت.

43. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بدون ناشر.

44. جماعة من المديرين في اختصاصات مختلفة، إشراف محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة. الطبعة الأولى، المطبعة العصرية، صيدا، لبنان، (2010م=1431هـــ).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وصحبه أجمعين